العدد 9 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية نيسان 2025
No. 9 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences April 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

سـورة ق ـ محاولـة في التفسير البيانـي

عاتكة عدنان خليل

الملخص

ان الدراسات القرآنية التي قدَّمت لتفسير القرآن من الناحية البيانية لاتزال تتسم بقلتها ، فقليلاً مانجد ان الباحثين من تنبه لدراسة النص القرآن ي بوصفه نصاً من نصوص العربية التي امتازت بذلك الطراز العالي من جودة النظم وحُسن البيان ، فيتحرى بذلك عن سر الجمال في مفردات القرآن وتراكيبه ، وعن أسباب الروعة والإبداع في صوره وتشبيهاته ، فعلى الرغم من ثراء المكتبة الإسلامية بكتب التفسير على اختلاف مناهجها الا ان هذا النوع من التفسير الأدبي للقرآن الكريم لم يحظَ بالاهتمام والعناية الكافية ، ومن هنا برزت أهمية اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث ، اذ ان المكتبة الإسلامية لم تستوف حقها من الدراسات في هذا الميدان من التفسير ، غير ان هذا لايعني عدم وجود دراسات وصفت بالرائدة في هذا المجال ، نذكر منها : تفسير الكشاف للزمخشري والتحرير والتنوير لابن عاشور وكتابي الاعجاز البياني والتفسير البياني للدكتورة عائشة عبدالرحمن ، وغير ذلك من الكتب والدراسات .

الكلمات المفتاحية: التفسير البياني، سورة ق، القرآن

Surah Qaf An attempt at rhetorical interpretation

Atika Adnan Khalil

Abstract

The Quranic studies that have been presented to interpret the Quran from the rhetorical aspect are still characterized by their scarcity. We rarely find researchers who have paid attention to studying the Quranic text as a text from the Arabic texts that are distinguished by that high style of quality of organization and good expression, thus investigating the secret of beauty in the vocabulary and structures of the Quran, and the reasons for the magnificence and creativity in its images and similes. Despite the richness of the Islamic library with books of interpretation with different approaches, this type of literary interpretation of the Holy Quran has not received sufficient attention and care. Hence, the importance of choosing this topic for study and research emerged, as the Islamic library has not received its due share of studies in this field of interpretation. However, this does not mean that there are no studies described as pioneering in this field, including: Al-Kashaf Interpretation by Al-Zamakhshari, Al-Tahrir and Al-Tanwir by Ibn Ashur, and the books Al-Ijaz Al-Bayan and Al-Tafsir Al-Bayan by Dr. Aisha Abdul Rahman, and other books and studies.

Keywords: graphic interpretation, Surah Q, Quran

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح الفصحاء وإمام البلغاء سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين ...

أما وبعد...

فيبقى القرآن الكريم تاج العربية الأعلى ، ومثلها البياني الأسمى ، الذي لطالما وجد فيه الدارسون ذلك المعين الذي لاينضب ، فقد أودع الله فيه من الأسرار مالا تستنفذه الدراسات ، وما لاتستوعبه العقول الا

بعد طول تدبروا إمعان نظر، فهو الكتاب الذي لاتنتهي عجائبه ، ولا تنقطع اسراره ، لذلك وقع اختيار موضع البحث في سورة من سور القرآن الكريم وهو بعنوان (سورة ق محاولة في التفسير البياني).

ان الدراسات القرآنية التي قدَّمت لتفسير القرآن من الناحية البيانية لاتزال تتسم بقلتها ، فقليلاً مانجد ان الباحثين من تنبه لدراسة النص القرآن ي بوصفه نصاً من نصوص العربية التي امتازت بذلك الطراز العالي من جودة النظم وحُسن البيان ، فيتحرى بذلك عن سر الجمال في مفردات القرآن وتراكيبه ، وعن أسباب الروعة والإبداع في صوره وتشبيهاته ، فعلى الرغم من ثراء المكتبة الإسلامية بكتب التفسير على اختلاف مناهجها الا ان هذا النوع من التفسير الأدبي للقرآن الكريم لم يحظَ بالاهتمام والعناية الكافية ، ومن هنا برزت أهمية اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث ، اذ ان المكتبة الإسلامية لم تستوف حقها من الدراسات في هذا الميدان من التفسير ، غير ان هذا لايعني عدم وجود دراسات وصفت بالرائدة في هذا المجال ، نذكر منها : تفسير الكشاف للزمخشري والتحرير والتنوير لابن عاشور وكتابي الاعجاز البياني والتفسير البياني للدكتورة عائشة عبدالرحمن ، وغير ذلك من الكتب والدراسات .

وقد آثرنا في بداية البحث ان تكون سورة ق نموذجاً لهذا التفسير الا ان طبيعة الدراسة التي اعتمدت التفصيل والدقة في الاستنتاج والوصول الى الاحكم أوجبت الاقتصار على نصوص من هذه السورة . واما منهج هذه الدراسة فقد اعتمد على اسلوب تحليل آيات السورة وتوضيح خصائص النظم فيها ، وبيان سر إيثار لفظٍ على لفظ ، وصيغةٍ على صيغة ، ثم الكشف عن روعة الصور البيانية وجوده البديع ، ومع اللجوء الى منهج المقارنة في بعض المسائل وهو ما الزمتني به طبيعة البحث.

وقد اشتملت خطة البحث على تمهيد يتضمن ثلاث فقرات ، الأولى : تحديد مفهوم كل من التفسير والتسفير البياني ، والثانية : تضمنت نبذة عن نشأة التفسير البياني وعن رواد هذا النوع من التفسير في عصرنا الحديث ، والثالثة : بين يدي السورة ، ويتضمن المعلومات الأساسية للسورة ، خصائصها وموضوعاتها ، وفضلها ، ثم اتبع التمهيد بفصلين ، الأول : (بلاغة النظم في سورة ق) ويتضمن دراسة الأساليب الخبرية والإنشائية في السورة مع بيان مواضع التقديم والتأخير ، والاطلاق والتقييد ، والتنكير ، والحذف ، وغيرها ذلك مما له تعلق بخصائص النظم .

أما الفصل الثاني : (التصوير البياني في سورة ق) فقد تضمن الإشارة الى الصور المجازية في سورة ق المتمثلة في المجاز العقلي والمجاز المرسل ، والاستعارة ، كما جرى التطرق الى المعاني الكنائية التي عرضت لها السورة الكريمة . وأعقب هذين الفصلين خاتمة اشتملت على اهم النتائج التي توصل اليها البحث .

أما المصادر التي استعنت بها ، فاهما كتب التفسير مثل : الطبري والكشاف وروح المعاني ، كما استعنت بطائفة من المراجع التي تتصل بموضوع بحثي .

اما الصعوبات التي اعترضت البحث فقد تمثلت في قلة المصادر التي قدَّمت لهذا الموضوع ، والتي اختصت بالتفسير البياني للقرآن الكريم .

التمهيـد

أولاً: تحديد مفهوم التفسير والتفسير البياني

يعرف التفسير بأنه: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه (ﷺ) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه " [1] .

وأما التفسير البياني: " فهو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني ، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما الى ذلك مما يتعلق باحوال التعبير " [2] .

ثانياً : نبذة عن نشأة التفسير البياني

(1) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تح: مصطفى عبدالقادر عطا : 29.
(2) على طريق التفسير البياني ، فاضل السامرائي : 7/1.

ان علم التفسير من اجل العلوم واشرافها ، اذ ان موضوعه كلامُ الله تعالى ، وغايته معرفة معاني كلمات الله وإدراك مقاصدها ، وقد اتخذ المسلمون الأوائل من القرآن ذاته سبيلا لهذه المعرفة ، ففسروا القرآن بالقرآن ، كما اتخذوا من الرجوع الى النبي (ﷺ) والى الصحابة من بعده ممن كان ضليعا في تفسير القرآن سبيلا اخر لهذه المعرفة ، فقد كانت هذه المصادر أساسياً لتفسير القرآن الكريم وفهم معانيه ، وهو مايعرف بالتفسير بالمأثور [1] .

لقد مثل التفسير في عهد النبي (ﷺ) وأصحابه ، المرحلة الأولى من مراحل التفسير التي انتهت بانتهاء عهد صحابة رسول الله (ﷺ) .

ثم بدأت بعد ذلك المرحلة الثانية للتفسير ، تلك المرحلة التي مثلها التابعون ممن تتلمذوا على الصحابة وتلقوا العلم عنهم ، فظهر في هذه المرحلة نوع آخر من التفسير يعرف بالتفسير بالرأي [2] .

ومما يقرب من هذا النوع من التفسير ، هو التفسير بالاعتماد على الفقه بالعربية وأساليبها وخصائص التعبير فيها الذي مثله ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابة (مجار القرآن) والذي تعرض مسلكُهُ هذا لكثير من النقد [3] .

فكان من شدة النقد الذي تعرض له ان قال عنه الفراء (لو حمل لي ابو عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز) [4] .

ان محاولة أبي عبيدة في كتابه مجار القرآن فتحت منافذ البحث في لغة القرآن وأسلوبه ، فكانت النواة الأولى للدراسات البيانية ، فعلى الرغم من كثرة الانتقادات التي وجهت لهذا الكتاب الا انه ظلَّ مرجعاً أصيلاً لكثير من الدراسات البيانية في القرآن الكريم.

لقد كان من أهم أسباب انكار بعض العلماء لمحاورة أبي عبيدة هو رفضهم لوقوع المجاز في القرآن وشبهتهم في ذلك (ان المتكلم لايعدل اليه الا اذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى وهذه شبه باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها) [5] .

من ذلك ندرك ان القرآن الكريم فيه متسع للتأويل ، فهو متضمن للمجاز وذلك باعتباره نصاً عربياً يمتاز بما امتازت به لغة العرب ، اذ ان (العرب كثيراً ماتستعمل المجاز ، وتعده من مفاخر كلامها ، فانه دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لغتها على سائر اللغات) [6] .

وانطلاقا من مفهوم اتساع المعنى لاحتمال اللفظ وقوته [7] ، بدا كثير من الدارسين والباحثين في عصرنا الحديث بتفسير القرآن تفسيراً أدبياً يقوم على أساس معالجة النصوص القرآنية من خلال اظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني فضلا عن الكشف عن اسرار الجمال ومواطنه في نصوص القرآن الكريم [8] .

لقد مثل هذا اللون من التفسير الأدبي للقرآن في عصرنا الحديث طائفة من العلماء الذي يرجع لهم الفضل في وضع اسس هذا النوع من التفسير ، نذكر منهم : الإمام محمد عبده ، والإمام محمد رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي [9] .

وقد اتضحت معالم هذا التفسير واكتملت اصوله على يد الامام امين الخولي وتلامذته ، ولعل أبرزهم في هذا المجال بنت الشاطئ في كتابها (التفسير البياني للقران الكريم).

---

(1) ينظر : موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالماثور ، حكمت بن ياسين : 5/1.
(2) ينظر: التفسير والمفسرون ، محمد الذهبي : 76/1.
(3) ينظر : تاريخ بغداد ، ابو بكر البغدادي ، تح : بشار عود معروف : 338/15.
(4) م. ن : 338/15.
(5)الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم : 12/3.
(6)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني ، تح: محمد محيى الدين عبدالحميد: 93/1.
(7) ينظر : م.ن : 93/2.
(8) ينظر : التفسير والمفسرون : 27/1.
(9) ينظر : م.ن : 304/2.

ويجدر بنا في هذا المقام ان نذكر بان هذا البحث هو محاولة متواضعة للسير على منهج الدكتورة عائشة في كتابها (التفسير البياني للقران الكريم)، وقد اختلف منهج هذا البحث عن منهج الدكتورة عائشة في بعض المسائل التي تمثلت بعدم التوسع في ذكر أسباب النزول وذكر أقوال المفسرين واختلافهم ، مع الاكتفاء باستقراء اللفظ من خلال السياق الذي ورد فيه دون اللجوء الى استقراء مافي القرآن من صيغ اللفظ الا في بعض المقارنات التي نتعرض من خلالها لذكر ماورد من صيغ اللفظ في القرآن الكريم .

ثالثا : بين يدي السورة

سورة ق من السور المكية [1] ، التي عالجت أصول العقيدة الإسلامية ، فقد اهتمت بالاستدلال على أمر التوحيد وأمر الرسالة والبعث ، وذلك من خلال ماعرضت له من قدرة الله سبحانه وتعالى المتجلية في صفحات هذا الكون ، المتمثلة بخلق السماوات والارض ، وإخراج النبات وإنزال المطر وغير ذلك من الشواهد الدالة على عظيم قدرته سبحانه وتعالى [2] .

لقد تميزت هذه السور بشدة الإيقاع في بنائها التعبيري وفي صورها وجرس فواصلها ، كما امتازت بكونها شديدة الوقع على الحس ، اذ ان فيها من الترغيب والترهيب ماتهتز له القلوب وترتج من هوله النفوس [3] . ومما زاد هذه السورة فضلاً ان النبي (ﷺ) كان يخطب بها في العيد والجمعة لما فيها من الوعظِ والتذكير للإنسان بأمر الآخرة [4] .

وقد ورد في الحديث عن النبي محمد (ﷺ) (من قرأ سورة ق ، هَوَّنَ الله تعالى عليه تأزاتِ الموتِ وسكراتهِ) [5] .

الفصل الأول
بلاغة النظم في سورة ق

((ق وَالقرآن الْمَجِيدِ)) [ق :1]

افتتح الله عز وجل هذه السورة الكريمة بالقسم ، وأسلوب القسم من الأساليب المتبعة في النهج العربي والغرض منه توكيد الخبر ليستقر في النفس ويتزعزع فيها ما يخالفه، وان لم ينجح القسم في حمل المخاطب على التصديق فانه يوهن في النفس الفكرة المخالفة ، ويبعث المرء على التفكير فيما ورد القسم من اجله[6].

كما ان ابتداء الكلام بالقسم يوحي بذاته باليقظة والاهتمام ، فالله عزل وجل بدأ الحديث بالقسم فالامر جَلَلْ ، ولعل هذا هو المقصود بهذا الابتداء[7].

وقد اقسم سبحانه وتعالى بالحرف (ق) فما سر افتتاح السورة بهذا الحرف؟

للجواب عن هذا السؤال لابد من الإجابة على سؤال آخر يكون في جوابه سبيك لمعرفة سر هذا الافتتاح.

فالسؤال الان : ما سر افتتاح بعض سور القرآن الكريم بحروف التهجي ؟

لقد ورد استفتاح السور بحروف الهجاء في تسع وعشرين سورة في القرآن ، وجملة هذه الحروف من غير تكرار اربعة عشر حرفا، يجمعها قولك : نص حكيم قاطع له سر[8].

وان ستا وعشرين منها مكية النزول اذ ان مظاهر العناد والتحدي للدعوة الجديدة في مكة كان قد بلغ أقصى المدى[9].

---

(1) ينظر : الكشف والبيان ، ابو اسحاق النيسابوري ، تح: ابي محمد بن عاشور : 92/9.
(2)ينظر : صورة التفاسير ، محمد الصابوني : 260/3.
(3)ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قط : 3356/6.
(4)ينظر : مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي : 125/28.
(5) ترتيب الامالي الخميسية ، يحيى الشجري ، تح : محمد حسن بن عمر حسن اسماعيل:126/1.
(6) ينظر : من بلاغة القرآن ، احمد البدوي : 132.
(7) ينظر : في ظلال القرآن : 3357/6 .
(8) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 99-100.
(9) ينظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم المطعني : 204/1.

ثم ((ان معظم هذه السور فيها حديث بعد الفواتح مباشرة عن سمو القرآن وعلو طبقته قال تعالى : ((**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**)) [البقرة : 1، 2]
وقوله : ((**الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**)) [هود : 1] الى اخر هذه الايات والمطالع)) [1].
وتَخَلَق هذا المنهج في ثلاث سور هي (مريم – العنكبوت - الروم) والمتتبع لهذه السور الثلاث يجد في غضونها ذكرا وحديثا عن القرآن ، وان لم يكن ذلك الحديث مباشرا لذلك يطر هذا الملحظ في التسع والعشرين سورة التي جاءت فواتحها حروفا مقطعة[2]، فضلا عن انه ((ما من سورة بدأت بالحروف المقطعة الا كان فيها احتجاج للقران ودحض لدعاوى من جادلوا فيه ، مع التنظير لموقف المجادلين فيه بموقف امم قبلهم كذبوا بايات الله واستهزؤوا برسله تعالى فحق عليهم العذاب)) [3].
نستنتج مما ذكر ان السر في هذا النوع من الاستفتاح للسور هو بيان وجه التحدي للعرب في هذا القرآن ، فان حروفه هي حروف معجمهم والفاظه من لغتهم ، تلك اللغة التي يحذقونها اذ لو كان بغير لغتهم لما صح به التحدي ، ولكان لهم عذر في الاعجاز[4].
يتضح مما سبق جواب السؤال عن سر افتتاح سورة (ق) بهذا الحرف فقد ذكر هذا الحرف ((ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم انه بالحروف التي يعرفوها فيكون ذلك تعريفا لهم ودلالة عجزهم ان يأتوا بمثله)) [5].
وللعلماء كثير من التأويلات في مثل هذا النوع من الفواتح منها : ان الله عز وجل اقسم ((بحروف المعجم لشرفها وفضلها ، ولانها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة ، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى)) [6].
وهناك من ذكر ان هذه الحروف كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء ، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل ، والاخذ في التفاصيل ، والوقوف على معاني القرآن بعد حفظ مبانيه[7].
وقد ذكر صاحب كتاب البرهان في سر افتتاح سورة (ق) بهذا الحرف ان ((السورة مبنية على الكلمات القافية : من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن ادم ، وتلقي الملكين، وقول العتيد ، وذكر الرقيب ....وسر اخر وهو ان كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح)) [8].
وقد يكون السبب في ابتداء السورة بحرف القاف هو ان مخرجها ((من اصل اللسان مما يلي الحلق ويحاذيه من الحنك الاعلى ، فان ذلك اشارة الى مقصود السورة الاصل والعلو ... واما صفتها فانها عظيمة في ذلك فان لها من الجهر والشدة والانفتاح والاستعلاء والقلقلة ، وكل منها ظاهر الدلالة على ذلك ، واول مافيها من الخلوقات على هذا المقصد النخل لما انفردت به عما شاركها من النباتات بالاحاطة بالطول وكثرة المنافع)) [9].
كما يمكن ان يكون في ذكر حرف القاف قصد الى الامر بالوقف ، بمعنى ان الله عز وجل امر الانسان بان يقف وقفة تامل وتفكر في سنن الكون ونظم الحياة ، فقد ورد في كلام العرب ذكر حرف القاف مجازا عن الامر بالوقوف ومن ذلك قول الشاعر :

قلت لها : قفي ، فقالت : قاف لا تحسبينا قد نسينا الا يجاف[10].

---

(1) م .ن : 204/1.
(2) ينظر : خصائص التعبير القرآني : 204/1-206.
(3) الاعجاز البياني للقران ، عائشة عبد الرحمن : 180.
(4) ينظر : الاعجاز البياني للقران : 180 وخصائص التعبير القرآني : 203/1.
(5) التفسير البياني للقران الكريم ، عائشة عبد الرحمن : 42/2.
(6) تاويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : تح : ابراهيم شمس الدين : 183.
(7) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 105.
(8) م.ن : 101.
(9) نظم الدرر في تناسب الايات والسور ، برهان الدين البقاعي : تح : عبد الرزاق غالب المهدي: 243/7-244.
(10) معاني القرآن ، الفراء : تح : احمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح اسماعيل : 75/3.

فذكرت القاف وارادت الوقوف ، بمعنى : اني واقفة[1].

ومما يؤيد ورود القاف هنا بمعنى (قف) اشتمال السورة الكريمة على كثير من الشواهد الدالة على عظمة قدرة الله سبحانه وتعالى والمتمثلة برفع السماء ومد الارض والقاء الرواسي وانبات الزرع وغير ذلك من الشواهد التي ينبغي على الانسان ان يقف عندها فيتأمل ويتفكر ليصل بذلك الى الايمان بوجود خالق عظيم ، قادر عليم ، لا يعبد سواه.

وعلى الرغم من كثرة هذه التأويلات الا اننا نجد ان هناك من عد هذا النوع من الاستفتاح للسورة علما مستورا لم يكشف سره فقد استأثر الله به[2]، ((ولهذا قال الصديق (رضي الله عنه) : في كل كتاب سر ، وسره في القرآن أوائل السور)) [3].

ولم يذكر الله عز وجل حرف القسم (الواو) كما هو الحال عند القسم بالأشياء المعهودة في مثل قوله تعالى : ((والطور ، والنجم والشمس ...)) فلم يقل (وق) وكذلك الحال في بقية الحروف التي ابتدأت بها سورة القرآن الكريم[4]، وذلك ((لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف)) [5].

في حين انه عند القسم بالقرآن ذكر حرف القسم (الواو) فما الداعي لذكر حرف القسم (الواو) هنا ؟

الواو في أصل الوضع اللغوي يستعمل في القسم لتعظيم ما يقسم به، هذا ما يتجه اليه جمهور المفسرين وقد أدت هذه الفكرة المسيطرة عليهم الى دفعهم لضروب من التأويلات لا تخلو من الغرابة[6].

وتذكر الدكتورة بنت الشاطئ ان حرف الواو ((قد خرج من ال الوضع اللغوي في القسم للتعظيم الى معنى بياني ، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن اصل معناها الذي وعت له، لملحظ بلاغي، فالواو في هذا الاسلوب تلفت لفتا قويا الى حسيات مدركة ليست موضع غرابة او جدل ، توطئة ايضاحية لبيان معنويات او غيبيات لا تدرك بالحس)) [7].

فالقرآن الكريم يدركه الانسان من خلال حاسة السمع، فهو من المدركات الحسية التي لا جدال فيها، فجاز القسم به تمهيدا لبيان امور غيبية كالبعث بعد الموت واعادة الخلق والحساب والجزاء في الاخرة وغير ذلك من الامور التي لا يمكن ادراكها بالحس.

وجواب القسم محذوف ، اذ يضرب بعده بحرف (بل) عن المقسم عليه وهذا من ايجاز الحذف وفي هذا الحذف بعث للنفس على التفكير فتذهب نفس السامع في تقديره كل طريق ممكن في المقام فتظل النفس تتبع الايات لتستوفي منها الجواب الذي لابد ان يكون شيئا عظيما يقسم عليه الله، ثم جاء الاضراب الانتقالي بالحرف (بل) الذي يقتضي كلاما منتقلا منه، والقسم بدون جواب لا يعتبر كلاما تاما فتعين ان يقدر السامع جوابا، وقد اختلف العلماء في جواب هذا القسم، فقيل : ان جوابه محذوف يدل عليه الكلام، كأنه قيل : (والقرآن المجيد انا انزلناه لتنذر به الناس) ، وقدره ابو حيان : (انك جئتهم منذرا بالبعث) ، وذكر اهل الكوفة ان جوابه قوله تعالى : (**بَلْ عَجِبُوا**)، وقال ابن كيسان ان جوابه قوله تعالى : ((**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ**)) ، وذهب الاخفش الى ان جوابه محذوف ومجازه: ((**ق وَالقرآن الْمَجِيدِ** (لتبعثن))).ومع تتبع آيات السورة نجد فيها حديثا عن البعث وتعجبا من منكر به مما يؤذن بان القسم وارد لتاكيد البعث وانه سيكون لا محالة[8].

---

(1) ينظر : م.ن : 75/3 .
(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 103.
(3) م.ن : 103.
(4) ينظر : مفاتيح الغيب : 126/28.
(5) م.ن : 126/28.
(6) ينظر : التفسير البياني : 130/1.
(7) م.ن : 25/1.
(8) ينظر : الكشف والبيان : 93/9 وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع الثماني ، شهاب الدين الالوسي : تح : علي عبد عبد الباري عطية : 323/13. ومن بلاغة القرآن : 100 والتحرير والتنوير ، ابن عاشور : 277/26-278.

((**بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**)) [ق :2]

في الاضراب بـ (بل) اشعار باهمية المنتقل اليه فكانه قيل : عد عما تريد تقديره من جواب وانتقل الى بيان سبب انكار الكافرين الذي حدا بنا للقسم ، وقوله : ((**عَجِبُوا**)) خبر مستعمل في الانكار ، انكار لتعجبهم مما ليس بعجب ، لانهم عجبوا ان كان الرسول رجلا منهم يعرفون صدقه وعدالته وامانته واوجبوا ان يكون الا له حجرا وعجبوا من ان يبعثوا بعد الموت ولم يعجبوا ان يبتدئ الله خلقهم من تراب ولم يكن له اصل في الحياة[1]. ((والعجب : نظر النفس لامر خارج عن العادة)) [2].

ووصف الرسول (ﷺ) بوصف (منذر) وهو المخبر بشر سيكون ، وذلك للاشارة الى ان عجبهم ناشئ عن صفتين في الرسول (ﷺ) ، احداهما : انه مخبر بعذاب بعد الموت ، والثانية : كونه من البشر ، فقد وصفه الله عز وجل بكونه (منذر) قبل وصفه بكونه (منهم) ليدل على ان ما انذرهم به الرسول الكريم هو الباعث الاصلي لتكذيبهم له، وان كونه (منهم) قوى الاستبعاد والتعجب[3].

تم ذكر الله عزل وجل قول الكافرين بقوله : ((**فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**)) وخص (هذا) بالعناية بالذكر اشارة الى البعث ، لانه ادخل في الاستبعاد عندهم من كون الرسول بشرا منهم ، وفي قوله : ((**فَقَالَ الْكَافِرُونَ**)) اظهار في موطن الاضمار بدل (فقالوا) فوضع الظاهر موضع المضمر ، اما للتسجيل عليهم بالكفر او لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم او للايذان بان تعجبهم من البعث الذي يدل على استقصارهم لقدرة الله عز وجل مع علمهم بقدرته على ما هو اشق منه في قياس العقل اشنع من الاول وهو تعجبهم من بعثة الرسول (عليه الصلاة والسلام) واعرق في الكفر[4].

ويجوز ان يكون في اضمارهم اولا ثم اظهارهم ((عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة وعطفه بالغاء لوقوعه بعده ، وتفرعه عليه ؛ لانه اذا انكر المبعوث انكر ما بعث به ايضا)) [5].

((**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**)) [ق : 3]

في هذه الاية تفصيل اعقب الاجمال في قوله تعالى : ((**هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**)) فقد بين الله عزل وجل المتعجب منه حكاية عنهم ، وقد افتتح انكارهم للبعث باستفهام انكاري مبالغة في الانكار والاستبعاد للبعث وليكون هذا الاستفهام مستعملات في التعجب ، فهم يريدون تعجب السامعين تعجيب احالة لئلا يؤمنوا[6].

وقد ورد ذكر اللفظ (متنا) مكسور الميم في سياق هذه الاية في حين ورد ذكره مضموم الميم في غير هذا السياق من الايات ، وتفسير هذا راجع الى ان المكسور الميم (ياتي في الذكر الحكيم في معرض التعجيز من رجوع الميت الى الحياة الدنيا ، ومقام اياته مقام فناء فكأن المكسور خاص بالتعبير عن البلى ومرور الدهور على موت الانسان)[7]، وهذه الاية قد وردت في معرض السؤال الانكاري والاستبعاد للبعث بعد الموت فناسب المقام استخدام اللفظ مكسور الميم، ومثل هذا المقام قوله تعالى : ((**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**)) [الانبياء : 34]. وقوله تعالى : ((**وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً**)) [مريم : 66].

ففي الاية الاولى كان الكلام عن ذكر الموت المحقق الذي هو ضد الخلود وكذلك الاية الثانية ففيها انكار للبعث واثبات لانقطاع الميت عن الحياة ، في حين ان الايات التي ورد فيها مضموم الميم لم يكن معه موت بعد ، بدليل اننا نجد فيها مثلا تقدم لام القسم وحرف الشرط وكلا الحرفين يكون للمستقبل من الزمن[8]، قال تعالى : ((**وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ ....**)) [آل عمران : 157] 157] ، وقوله عز وجل : ((**وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ**)) [آل عمران : 158].

---

(1) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري : 308/4 ونظم الدرر : 247/7. والتحرير والتنوير : 278/26.
(2) روح البيان : اسماعيل الاستانبولي : 103/9.
(3) ينظر : التحرير والتنوير : 279/26.
(4) ينظر : روح المعاني : 13/ 323 والتحرير والتنوير : 279/26. وصفوة التفاسير : 213/3.
(5) روح المعاني : 323/13.
(6) ينظر : نظم الدرر : 247/7 والتحرير والتنوير : 279/26-280.
(7) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، محمد الدوري : 113.
(8) ينظر : دقائق الفروق اللغوية : 313-314.

وفي قوله تعالى : ((**أَئِذَا مِتْنَا**)) المستفهم عنه محذوف يدل عليه الظرف ((**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً**)) والتقدير : أنرجع الى الحياة بعد انعدامها بالموت، وحين يتفتت الجسد حتى يكون لافرق بينه وبين تراب الارض؟ وقد دل على المحذوف بالاشارة اليه باداة البعد (ذلك) لما فيها من دلالة الى عظيم استبعادهم أي ان هذا الامر الذي هو تمييز ترابنا من بقية التراب في غاية البعد، وجملة ((**ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**)) مؤكدة لجملة ((**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً**)) أي ان ذلك بعيد عن تصور العقل ومستحيل[1].

((**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ**)) [ق : 4]

النظم القرآني نظم بليغ ، فلا يمكن ان يرد فيه حرف او معنى قد صيغ في قالب لفظي معين الا ان يكون المقام يقتضي وجود مثل هذا الرف وهذه الصياغة ، وكذلك الحال في تخيّر مواضع الجمل بحيث انها تأتلف مع نظيراتها من الجمل الاخرى فتشكل الاية التي تمثل عين ما يقتضيه المقام.

ففي هذه الاية يتضح لنا مدى دقة التعبير القرآني في تصوير ادق التفاصيل فهو (يجسم حركة الارض ويحييها وهي تذيب اجسادهم المغيبة فيها وتأكلها رويدا رويدا، ويصور اجسادهم وهي تتآكل باطراد وتبلى)[2].

ولما كان مقام هذه الاية مقام رد على الكافرين لاستبعادهم الرجع لانه في اعتقادهم ان تفرق الاجساد في مناحي الارض لايبقي املا في امكان جمعها وانه لو علمت مواقعها فانه لا يمكن جمعها ولو جمعت لا يمكن تشكيلها بالصورة التي كانت عليها، فكان اساس مبنى رده عزل وجل على هذه الشبه هو عموم علمه سبحانه وتعالى وفي هذا ابطال لتلك الشبه، وبما ان السياق لاحاطة العلم من الله عز وجل بما نعلم وما لا نعلم فان السامع يتوقع الجواب عن هذا الجهل الذي تضمنه قول الكافرين من استحالة الرجع، فجاء الجواب مفتتحا بحرف التوقع (قد)[3]، ثم ان (قد) وهو حرف تحقيق دخل على الفعل الماضي دون المضارع، وفي هذا تحقيق لعلم الله عزل وجل وتاكيد لاحاطة علمه بكل شيء. وقد عبر الله عز وجل ((بـ (**تَنْقُصُ الْأَرْضُ**) دون التعبير بالاعدام لان للاجساد درجات من الاضمحلال تدخل تحت حقيقة النقص))[4].

الفصل الثاني
التصوير البياني في سورة ق

((**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**)) [ق: 1]

تقدم الكلام عن سبب القسم بحرف القاف وعن سبب ذكر الواو عند القسم بالقرآن وعدم ذكرها عند القسم بالحرف (ق)، بقي ان نذكر سبب القسم بالقرآن ووصفه بالمجيد.

ففي القسم بالقرآن ((كناية عن التنويه بشأنه لانه القسم لايكون الا بعظيم عند المقسم ، فكان التعظيم من لوازم القسم ، واتبع هذا التنويه الكنائي بتنويه صريح بوصف (**القرآن**) بـ (المجيد) فالمجيد المتصف بقوة المجد ، والمجد ويقال المجادة : الشرق الكامل وكرم النوع))[5] .

ويجوز ان يكون وصف القرآن المجيد مجازاً في الإسناد وذلك لانه كلام المجيد فهو وصفٌ بصفة قائِلِهِ ، او لان من علم معاني القرآن وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس ، فيكون مجازاً في الانساد الى السبب[6].

((**فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ**)) [ق : 5]

وصف الله عزوجل في هذه الآية حال الكافرين المكذبين ((و (**أَمْرٍ**) اسم مبهم مث شيء ، ولما وقع هنا بعد حرف (في) المستعمل في الظرفية المجازية تعين ان يكون المراد بالامر الحال المتلبسون هم به تلبس المظروف بظرفه وهو تلبس المحوط بما احاد به فاستعمل (في) استعارة بتعية))[1] .

---

(1) ينظر : نظر الدرر : 248/7 والتحرير والتنوير : 280/26.
(2) في ظلال القرآن : 3358/6 .
(3) ينظر : انوار التنزيل واسرار التاويل، ناصر الدين البيضاوي ، تح : محمد صبحي بن حس حلاق ومحمود احمد الاطرش : 318/26 و نظم الدرر : 248/7 والتحرير والتنوير : 280/26-281.
(4) التحرير والتنوير : 282/26-283.
(5) التحرير والتنوير : 276/26.
(6) ينظر : روح البيان : 103/9 وروح المعاني : 322/13.

أي ان الحرف (في) الموضوع للظرفية قد استعير للالتباس ، حيث شبه ملابسة الامر – الذي هو الحال – للكافرين بملابسة الظرف للمظروف بجامع التمكين في كل منهما .

و(**مَّرِيجٍ**): المضطرب من مرج الخاتمُ في أصبعه اذا قلق من الهزال ، بمعنى انهم لم يستقروا على قول واحد في تكذيبهم فهم يقولون عن الرسول (ﷺ) انه شاعر ثم يصفونه بانه كاهن ثم ساحر ، ففي هذا الوصف توبيخ لهم ، فان عقولهم طائشة فلم يتقنوا الكذب ، ولم يستقروا على وصف للكلام الذي كذبوا به [2] .

ويمكن ان يكون في هذه الآية (الاسناد مجازي كما في (**عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**) [الحاقة: 21] مبالغة بجعل المضطرب الامر نفسه وهو في الحقيقة صاحبه) [3] .

((**تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**)) [ق :8]

بعد ان ذكر الله عزوجل الأفعال الدالة على عظمته وقدرته من بناء السماء وتزيينها ومد الأرض وإلقاء الرواسي وغير ذلك من الدلائل التي تقدم الكلام عنها ، فانه ذكر في هذه الاية واحدة من الحكام التي اوجد الله عزوجل هذه المخلوقات لاجلها ، بمعنى اننا خلقنا هذه المخلوقات لنبصر ونذكر بها كل عبدٍ منيب ، والتبصير : هو جعل المرء مبصراً ، وقد ورد ذكره هنا مجازاً في إدراك النفس للأمر الذي كان خفيا عنها ادراكاً ظاهراً، فكان النفس لم تبصر الامر ثم بصرته ، واما الذكرى فقد ورد ذكرها هنا بمعنى مراجعة النفس لما علمته ثم غلفت عنه [4] .

ويمكن ان يكون خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ، وذلك لان التبصرة فيها آيات مستمرة في مقابلة الابصار وغير مستجدة ، ومعلوم ان السماء زينتها مستمرة وغير مستجدة هفي ثابتة على مرور الزمان ، في حين ان التذكرة فيها آيات متجددة مذكرة عن الغفلة والارض في طبيعتها متجددة في كل عام ، فذكر التبصرة للسماء والتذكرة للارض [5] .

(والمنيب) العبد الراجع الى ربه المتفكر في بدائع صنع الله عزوجل [6] . وقد خص الله عزوجل العبد المنيب بالتبصرة والذكرى على الرغم من ان ماذكر من المخلوقات التي أوجدها الله تعالى تبصرة وذكرى لعموم الناس مؤمنين ، وذلك تشريفا للمؤمنين وتعريضا بالكافرين لغفلتهم وإهمالهم للتبصر والتذكر [7] .

((**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**)) [ق: 9]

ان القصد من قوله تعالى (**مِنَ السَّمَاءِ**) هو السحاب ، أي من السحاب المنعقد في السماء [8] .

فيكون قوله تعالى (**مِنَ السَّمَاءِ**) مجازاً أطلق فيه المحل واريد الحال ، فالعلاقة المحلية.

ولما كان الماء وهو (المطر) سبباً في تكوين النبات وانعقاده حتى يصير شجراً مثمراً ، فقد ورد ذكره سبباً للانبات ، ووصف هذا الماء بقوله تعالى (مبارك) ، والمبارك : اسم مفعول للشيء ، الذي جعلت فيه البركة والخير الكثير ، فان فيه حياة كل شيء [9] .

وفي قوله تعالى (**جَنَّاتٍ**) مجاز مرسل ، فان الجنات هي مكان الاشجار ذوات الثمار ، فقد ذكر المحل واراد الحال ، فتكون العلاقة المحلية ، وقد ورد لفظ (**الجنات**) بصيغة الجمع للاشارة الى كثرتها ، أي : كثرة الشجر والنبات ، واما قوله تعالى (**وَحَبَّ الْحَصِيدِ**) فان تخصيص انبات الحب بالذكر ورد لكون الحب هو المقصود بالذات [10] .

---

(1) التحرير والتنوير : 284/26.
(2) ينظر : الكشاف : 380/4 وروح المعاني : 325/13 والتحرير والتنوير : 285/26 .
(3) روح المعاني : 13/ 325.
(4) ينظر : التحرير والتنوير : 290/26 .
(5) ينظر : مفاتيح الغيب : 135/28.
(6) ينظر : روح البيان : 107/9.
(7) ينظر : التحرير والتنوير : 291/26.
(8) ينظر : القرطبي : 271/4.
(9) ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي ، تح: عبدالرزاق المهدي: 171/4؛ ونظم الدرر:251/7؛ التحري والتنوير : 291/26.
(10) ينظر : روح البيان :108/9 ؛ روح المعاني : 326/13.

" والحصيد بمعنى المحصود وهو هنا مجاز ... والمعنى حب الزرع الذي من شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما مما يقتات به " [1] فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار مايكون .

والسبب في ذكر هذا الوصف هو التنبيه الى الفرق في استحصال الناس لما ينفعهم من انواع النبات ، فان الجنات تستثمر دون قطع اصولها واما الحبوب فانها تستثمر بعد قطع اصولها [2] .

وقد ختم الله عزوجل هذه الآية الكريمة بكلمة (**الحصيد**) وختم الآية التي تليها بكلمة (نضيد) ، وتسمى كل كلمة منهما باسم (الفاصلة).

حيث تعرف الفاصلة بانها آخر كلمة في الآية ، وللتفصيل أهمية في بيان المعنى ووضوحه ، وذلك لما لها من دور في جلاء المعنى وتقويته حتى يتمكن في النفس ، فضلا عن اهمية الفواصل من ناحية النغم الموسيقي للاية ، فمن خلال ملاحظة التشاكل الواقع في فاصلتي هاتين الآيتين اللتين توافقت فواصلهما في حرفين هما (الياء والدال) يمكن استشعار النظم الموسيقي المحكم الذي صورته تلك الفواصل ، فقد اضفت على الكلام ضرباً من السلاسة واللين والجمال لانظير له فيما نقرأ من السجع المتكلف عند الأدباء والكتاب [3] .

((**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**)) [ق: من الاية 11]

في قوله تعالى (**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً**) استعارة ، فقد شبه الله عزوجل البلدة بانسان ثم حذف المشبه به ورزم اليه بشيء من لوازمه وهو الاحياء ، فالاستعارة مكنية ، والقرينة (اثبات الاحياء للبلدة) .

لقد مثلت هذه الاستعارة صورة حسية لمشاهدة الاحياء ، من خلال ماقدمته من مثال حسي له يمكن للانسان ادراكه فيعلم بذلك قدرة الله سبحانه وتعالى على الايجاد من العدم، فتلك البلدة الهامدة التي افتقرت ارضها لمقومات الحياة قد اقتضت مشيئته ان يبث الحياة في ربوع ارضها ، فانزل فيها المطر وانبت الزرع والشجر ، فكان هذا المشهد دليلاً حسياً على قدرة الله عزوجل على البعث والاحياء .

واما قوله تعالى (**كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**) فهو تشبيه مرسل مجمل ، حيث شبه الله عزوجل احياء الموتى باخراج النبات من الارض ، وفي الاشارة باداة البعد (ذلك) تعظيم لشان الحياة المستفادة من الاحياء ، بمعنى ان حياتكم عند البعث والخروج من القبور مثل الاحياء للارض الميتة [4] .

" وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن احياء الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس " [5] .

((**وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**)) [ق : من الاية 16]

عبر الله عزوجل في هذه الآية عما يجول في بال الإنسان وقلبه وضميره من أحاديث النفس وخواطرها بـ(الوسوسة) التي هي مصدر قوله (**تُوَسْوِسُ**) [6] ، " والوسوسة انما تستعمل في غير الخير " [7] . واما واما حقيقة الوسوسة فهي الصوت الخفي ، واطلق هذا اللفظ هنا مجازاً فاقرب شيء يمكن ان تشبه به خواطر النفس هو الوسوسة ، وذلك لما في كل منهما من الخفاء ، أي ان هذا اللفظ قد استعير للدلالة على ما تخفيه النفس البشرية من الخواطر والهواجس [8] .

وقد صور القرآن الكريم بهذه الاستعارة المعنى الذهني المجرد في صورة مخسة ، اذ ان هذه الاستعارة قد مثلت علم الله سبحانه وتعالى بتلك الخواطر والهواجس التي تضمرها النفس البشرية بصورة حسية مدركة

---

(1) روح البيان : 108/9.
(2) ينظر : التحرير والتنوير : 192/26.
(3) ينظر : من بلاغة القرآن : 64-65 وخصائص التعبير القرآني : 218/1 ؛ مدخل الى تفسير القرآن وعلومه ، عدنان زرزور : 203-204.
(4) ينظر : روح المعاني : 327/13 ؛ صفوة التفاسير : 213/3.
(5) روح المعاني : 327/13.
(6) ينظر : الشكاف : 384/4 والتحرير والتنوير : 300/26.
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبدالرحمن الثعالبي : 196/4.
(8) ينظر : فتح البيان في مقاصد القرآن : 167/13 والتحرير والتنوير : 300/26.

تتمثل بعلم من يسمع صوتاً خفياً يفهم منه المراد، ومن خلال تصور الإنسان لهذا المعنى سيتمكن من ادراك مدى علم الله عزوجل بصغائر الأمور وكبرياتها .

وأما قوله تعالى (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) فان حبل الوريد " هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقة الى عاتقه ، وهما وريدان عن يمين وعن شمال" [1] ، وقد وردت اضافة الحبل الى الوريد للبيان ، وهي من اضافة الاعم الى الاخص لذلك هي اضافة بيانية ، وفي ذكره سبحانه وتعالى للقرب كناية عن سعة علمه باحوال العبد ، وذلك لان القرب من العبد يستلزم العلم باحواله [2] .

ويمكن ان يكون في قوله تعالى (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) استعارة تمثيلية حيث مثل الله عزوجل عمله باحوال الانسان وبخطرات النفس بحبل الوريد الذي يكون قريبا من القلب فهو تمثيل للقرب على سبيل الاستعارة [3] .

((**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**)) [ق: 17]

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الفعل (يتلقى) ليدل به على تسجيل الملكين لاقوال العباد وافعالهم حين صدروها ، فقد استعير التلقي هنا لتسجيل الاقوال والاعمال [4]. واما حقيقة التلقي هي : " أخذ الشيء الشيء من يد معطيه " [5] .

أي ان الله عزوجل شبه التسجيل بالتلقي بجامع الاخذ في كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو التلقي للمشبه وهو التسجيل ثم اشتق من التلقي بمعنى التسجيل يتلقى بمعنى يسجل ، فيكون في قوله تعالى (**يَتَلَقَّى**) استعارة تصريحية تبعية .

ويمكن ان يكون في ذكر تلقي الملكين بياناً لقربه سبحانه وتعالى من العبد بمعنى اننا قريبون من العبد وعلى علم باحواله ، فان ملائكتنا موكلة به وهي تحفظ عنه كل مايصدر من فعل او قول [6] .

ولفظ (**قَعِيدٌ**) في قوله تعالى (**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**) مستعار للملازم الذي لايفارق العبد [7] . اذ ان ان المقعد في القرآن الكريم يأتي ذكره للدلالة على الثبوت بعكس المجلس الذي يدل على التغير والزوال ، حيث يقال : قواعد البيت ولا يقال جوالس البيت ، لان القصد هو الاشارة الى مافيه من الثبات ، والملكان الموكلان بتسجيل اعمال ابن ادم لايفارقانه وهم ملازمان له ليلا ونهارا حتى يصير امره الى التراب ، لذلك ورد وصفهم بقوله (**قَعِيدٌ**) فضلا عما في صيغة (فعيل) من الدلالة على الثبات [8] .

أي ان الله عزوجل شبه اللزوم بالقعود بجامع الثبات في كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو القعود للمشبه وهو اللزوم ، ثم اشتق من القعود بمعنى اللزوم قعيد بمعنى ملازم ، فيكون في ذكر هذا اللفظ استعارة تصريحية تبعية .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان صيغة فعيل فضلاً عن دلالتها على الثبات فانها تدل على المبالغة ايضاً ، وتشير المبالغة في صيغة فعيل استعملت هذه الصيغة لتنبيه الانسان الى انه واقع تحت رقابة هذين الملكين بشكل مبالغ فيه ، فيتعظ الانسان بذلك ويكون رقيبا على نفسه حافظا لها من الخطأ والزلل .

وقد اشتملت هذه الآية على فن من الفنون البديعية فضلا عما تضمنته من فنون بلاغية تقدم الكلام عنها ، اذ ان آيات القرآن الكريم قد جمعت كل اشكال الجمال سواء من حيث المعني ام البيان ام المحسنات البديعية التي تضفي على الكلام رونقاً وجمالاً وعذوبة، ليزداد بذلك رسوخ الايمان في قلوب المؤمنين لاطمنانهم الى ان هذا القول المتضمن اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة هو قول عزيز حكيم ، وليكون هذا الكتاب برهاناً ساطعاً وحجةً بالغة تدحض إفك المشركين وافتراءاتهم على هذا الكتاب المبين .

---

(1) القرطبي : 9/17.
(2) ينظر : الكشاف : 384/4؛ روح البيان : 113/9 ؛ التحرير والتنوير : 300/26-301.
(3) ينظر : صفوة التفاسير : 213/3.
(4) ينظر : التحرير والتنوير : 301/26.
(5) التحرير والتنوير : 301/26.
(6) ينظر : الكشاف : 385/4.
(7) ينظر : التحرير والتنوير : 126/26.
(8) ينظر : دقائق الفروق اللغوية : 125-126.

ففي قوله تعالى (**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ**) ورد الجميع بين شيئين متضادين في الكلام ، حيث جمع بين اليمين والشمال في مقام واحد وهذا من المحسنات المعنوية التي تعرف بـ(الطباق)، فالى جانب مراعاة وضوح الدلالة ومطابقة الكلام لمتقضى الحال ورد هذا الطباق ليرفع الكلام الى اقصى مراتب الجمال [1] .

((**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**)) [ق : 19]

قصد الله عزوجل بقوله في هذه الاية (**سَكْرَةُ الْمَوْتِ**) شدة الموت وعمرته الذاهبة بالعقل [2] ، وقد استعير هذا اللفظ للحالة التي تعرض بين المرء وعقله عند الاحتضار [3] .

حيث شبه الله عزوجل شدة الموت وغمرته الذاهبة بالعقل بالسكرة بجامع الاضطراب الذي يصيب العقل في كل منهما ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السكرة للمشبه وهو شدة الموت وغمرته الذاهبة بالعقل على سبيل الاستعارة التصريحية .

ولم يشبه الموت بالشراب في هذه الآية على سبيل الاستعارة المكنية بحيث تثبت السكرة له تخييلاً لان المقام يقتضي الاستعارة التحقيقية [4] .

واما قوله تعالى (**تَحِيدُ**) أي : تفر وتهرب ، فانه مستعار للكراهية والنفور من الموت وتجنب اسبابه [5] .

فقد شبه الله عزوجل كره الموت وتجنب اسبابه بالحيدان بجامع الابتعاد عن الشيء في كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الحيدان للمشبه وهو كره الموت وتجنب اسبابه ثم اشتق من الحيدان بمعنى الكرة والتجنب تحيد بمعنى تكره وتتجنب ، فيكون في قوله تحيد استعارة تصريحيه تبعية .

ويمكن استشعار عظمة التصوير البياني في اثناء هذه الاية وهي تعرض صورة الموت التي يسعى الانسان جاهداً للفرار منها ، تلك الصورة التي ترتسم في خيال الانسان فتثير في نفسه رعشة الخوف ، ورجفة الصحو من الغفلة على الامر الرهيب .

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ومن والاه ، وبعد ؛ فهذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية :

1. أن ابتداء سورة ق بالقسم كان بقصد لفت الانتباه الى أهمية الكلام المُساق ، وجعل المُخاطبين أكثر إقبالاً على هذا الكلام ، كما ان فيه قصداً الى التوكيد للخبر المُساق وبعثاً للنفس على التفكير في الأمر الذي وَرَدَ من اجله القسم .
2. ان ابتداء هذه السورة بالقسم بحرف من حروف الهجاء وهو القاف ورد نتيجةً لخصوصية هذا الحرف ، فان حرف القاف يخرج من أصل اللسان مما يلي الحلق ويحاذيه من الحنك الأعلى وفي هذا إشارة الى الغرض الذي قصدت إليه السورة الكريمة وهو الأصل والعلو المتمثلان بالحق ، كما ان حرف القاف قد ورد تكراره في كلمات هذه السورة بشكل ملفت ، إذ أن السورة مبينة على الكلمات القافية ، ثم ان معانيها مناسبة لما في هذا الحرف من الشدة والجهر والانفتاح ، لذلك ورد الاستنتاج به كما ان من الممكن ان يكون في ذكره مجازاً عن الأمر بالوقوف ، اذ ان السورة الكريمة قد عرضت لكثير من شواهد الخلق التي ينبغي على الإنسان ان يقف عندها وقفة تأمل وتفكر ، فيستدل بها على عظمة قدرة الله سبحانه وتعالى.
3. ان ذكر حرف القسم (الواو) كان لغرض التنبيه على امر حسي مدرك لا جدال فيه وهو القرآن الكريم ، وذلك تمهيدا لبيان أمور غيبية كالبعث وإعادة الخلق والحساب والجزاء .
4. كشفت الدراسة عن خصائص النظم في سورة ق ، وعن سر بلاغة النظم فيها من خلال الكشف عن عناصر هذا النظم في جزئياته وكلياته .
5. أكد البحث على ان الكلمات تأتي في القرآن الكريم في مكانها المناسب بحيث لايسد مكانها غيرها .

---

(1) ينظر : جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي : 303 ؛ فن البديع ، عبدالقادر حسين : 44 ؛ صفوة التفاسير : 213/3.
(2) ينظر : الطبري : 346/22 ؛ الكشاف : 385 ؛ القرطبي: 12/17.
(3) ينظر : روح البيان : 118/6؛ روح المعاني : 332/13.
(4) ينظر : روح البيان : 118/9.
(5) ينظر : التحرير والتنوير : 306/26.

6. إن سورة ق من السور التي توشحت بفن الاستعارة مما اكسبها جمالاً في الأسلوب ، فقد جسدت الاستعارة المعاني الذهنية والحقائق الغيبية بقوالب محسوسة ومؤثرة ، تحث المتلقي على التأمل والتفكير بما لها من قوة الإيحاء في الترغيب والترهيب.

7. كشف البحث عن بعض المعاني المجازية والكنائية التي تضمنتها سورة ق والتي كان لها دور في ابراز المعاني وتشخيصها وإظهارها بصورة مؤثرة .

8. أكد البحث على ان القرآن الكريم يجمع في فواصله بين الوفاء بحق المعنى والتناغم الموسيقي الذي تصوره تلك الفواصل .

وفي الختام ، وبعد الانتهاء من الدراسة البيانية لنصوص من سورة ق ، فانه قد تبين ثراء هذه السورة الكريمة من الناحية البلاغية ثراءً عظمياً يدل على عظم مافي كتاب الله تعالى من بلاغة النظم ورقي البيان والله ولي التوفيق .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

1. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974م ، (د.ط).
2. ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د. ت. ط).
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995م ، (د.ط).
4. الإعجاز البياني للقران الكريم ومسائل بن الأزرق ، عائشة عبدالرحمن ، دار المعارف ، ط3، (د.ت).
5. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود احمد الاطرش ، دار الرشيد ، ط1، دمشق – بيروت ، 2000م .
6. البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي ، تح: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، 1420هـ ، (د.ط).
7. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تح: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1، لبنان ، 2006.
8. بلاغة الكلمة في التعبير القرآن ي ، فاضل صالح السامرائي ، دار عمار للنشر ، ط5، عمان – الأردن ، 2008م.
9. تاريخ بغداد أبو بكر احمد بن علي البغدادي ، تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، بيروت ، 2002م.
10. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري ، تح: ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ت.ط).
11. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م ، (د.ط).
12. ترتيب الامالي الخميسية ، يحيى بن الحسين الشجري ، تح: محمد حسن بن محمد حسن اسماعيل ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت – لبنان ، 2001م.
13. التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبدالرحمن ، دار المعارف ، ط7، القاهرة ، (د.ت).
14. تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، دار الحديث ، ط1، القاهرة ، (د.ت).

15. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، تح: سامي بن السلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2، 1999م.
16. التفسير والمفسرون ، محمد السيد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، (د.ت.ط).
17. الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، تح: احمد البردوني وابراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط2، القاهرة ، 1964م.
18. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر الطبري ، تح: احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 2000م.
19. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبدالرحمن الثعالبي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، (د. ت.ط).
20. جواهر البلاغة ، السيد احمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، ط1، صيدا – بيروت ، 1999م.
21. خصائص التعبير القرآن ي وسماته البلاغية ، عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة ، ط1، 1992م.
22. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآن ي ، محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية ، ط1، لبنان ، 2006م .
23. روح البيان ، اسماعيل حقي الاستانبولي ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت.ط).
24. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الالوسي ، تح: علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1415هـ.
25. سنن ابن ماجه ، ابن ماجه ابو عبدالله محمد القزويني ، تح: محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء الكتب العربية ، (د.ت.ط).
26. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن عمرو السجستاني ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (د.ت.ط).
27. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار احياء التراث العربي ، ط1، بيروت – لبنان ، 2004م.
28. على طريق التفسير البياني ، فاضل صالح السامرائي ، النشر العلمي ، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة ، 2005م ، (د.ط).
29. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، ط5، 1981م.
30. فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق القنوجي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا – بيروت ، 1992م ، (د.ط).
31. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت ، (د. ت.ط).
32. فن البديع ، عبدالقادر حسين ، دار الشروق ، ط1، بيروت ، القاهرة ، 1983م.
33. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط7، بيروت ، القاهرة ، 1412هـ.
34. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي ، ط3، بيروت ، 1407هـ.
35. الكشف والبيان ، أبو اسحاق احمد بن محمد النيسابوري ، تح: أبي محمد بن عاشور ، دار احياء التراث العربي ، ط1، بيروت – لبنان ، 2002م.
36. اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص الدمشقي ، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت – لبنان ، 1998م.

37. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، لبنان ، 1993م.

38. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد الاندلسي ، تح: عبدالسلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط1، لبنان ، 1993م.

39. مدخل الى تفسير القرآن وعلومه ، عدنان زرزور ، دار القلم ، ط2، دمشق ، 1998م.

40. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ابو محمد بن مسعود البغوي ، تح: عبدالرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي ، ط1، بيروت ، 1420هـ.

41. معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء ، تح: احمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبدالفتاح اسماعيل ، دار المصرية للتأليف والترجمة ،ط1 ، مصر ، (د.ت).

42. مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 2000م.

43. من بلاغة القرآن ، احمد احمد البدوي ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005م ، (د.ط).

44. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالماثور ، حكمت بن بشير ياسين ، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة ، ط1، المدينة المنورة ، 199م.

45. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي، تح: عبدالرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م ، (د.ط).

46. النكت والعيون ، أبو الحسن الماوردي ، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ت.ط).